



+ آباؤنا القديسون

القديس أمبروسيوس

تعيّد الكنيسة الأرثوذكسية في السابع من كانون الأول لأحد اعلام الكنيسة الجامعة، القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، الذي كان نموذجاً في الدفاع عن الإيمان وحفظ كلمة الرب مصانة من البدع، كما في رعاية الفقراء والمساكين.

وُلد أمبروسيوس عام ٣٤٠ في مدينة تريفييري عاصمة بلاد الغال (فرنسا)، من عائلة رومانية متقدمة في الشرف. وكان والده حاكماً لعدد من الأقاليم منها فرنسا وإيطاليا. لم يفتخر أمبروسيوس بهذا بل اعتبر الشرف في عمل الفضائل.

عندما توفي والده كان في الثالثة عشرة فانتقلت به والدته مع إخوته للعيش في روما. هنالك درس اليونانية والبيان والفلسفة والخطابة ونبغ فيها. وقد ربته أمه على الفضائل المسيحية فنما في نفسه حب البتولية فنذرهما ولم يكن قد اعتمد بعد إذ كان رائجاً في عصره تأجيل المعمودية بسبب الاعتقاد أن الخطايا بعد المعمودية لا تُغفر. ويُقال انه لم يعتمد قبل بلوغه الرابعة والثلاثين، عندما تم اختياره أسقفاً على ميلان.

من روما انتقل أمبروسيوس إلى ميلان حيث درس القانون. وقد شاع صيته هناك فاستدعاه والي إيطاليا وأقامه حاكماً على المقاطعة لما سمعه عنه من فضائل. كان أمبروسيوس مثال الراعي للمقاطعة، حتى انه حين رقد أسقف ميلان لم يجد الشعب بديلاً من الحاكم أمبروسيوس لإقامته أسقفاً عليهم، فنادوا بصوت واحد: «أمبروسيوس أسقف». رفض أمبروسيوس الأمر وهرب من أمام الشعب. اختبأ أياماً عدة لكنه رضخ لإرادة الشعب بعد أن ضغط عليه الإمبراطور، فتمت معمديته وارتقى الدرجات الكهنوتية حتى الأسقفية في مدة ثمانية أيام.

بعد ارتقائه السدة الأسقفية وزّع الثروة التي ورثها عن والديه على الفقراء، ووهب الكنيسة أراضي، وترك القليل من المال لمعيشة أخته. كان يصوم كل يوم ما عدا الآحاد والأعياد، ولا يقبل الدعوات إلى الولائم، ويمضي أكثر ليله في الصلاة ويُقيم الذبيحة الإلهية كل يوم. إضافة إلى ذلك كان يهتم بشؤون الرعية فيرشد الضالين ويؤوي المساكين ويُطعمهم. كان يقول: «إن إطعام الجياع وفك الأسرى وتشييد الكنائس والعناية بالمدافن يجعل بيع الأواني المقدسة حلالاً». كان يحث الجميع



+ آباؤنا القديسون

على حفظ البتولية، والخطأة للتوبة والمؤمنين على المناولة المتواترة، وقد كتب العديد من المقالات في هذه المواضيع.

اشتهر أمبروسيوس أيضاً بدفاعه الكبير ضد الآريوسية، ورغم دعم الإمبراطورة يوستينية للآريوسيين صمد بعون الله ولم تستطع يوستينية النيل من الكنيسة رغم محاولتها الاستيلاء على بعض الكنائس بالقوة وحجر حرثته وقتله وترحيله. وقد أعلن أمام المؤمنين استعداده للموت من أجل الإيمان إذا كان لا بد من الموت، وكان يردد: «... صلوات الفقراء هي حصني...». وقد نظم أمبروسيوس خلال فترة الاضطهاد العديد من الاناشيد التي تتضمن تعليماً عن العقيدة والإيمان القويم. انتهى التوتر بموت يوستينية واستلام ابنها فالنتينيانوس الحكم، فتقرب فالنتينيانوس من أمبروسيوس وصار بمثابة ابن له.

في العام ٣٩٠، على زمن الإمبراطور ثيودوسيوس، حدث في تسالونيكي (شمال اليونان) اضطراب بسبب احتجاج سائق عربية من قبل الجندي، مما دفع الناس إلى رجم عدد من الجنود حتى الموت. ولما بلغ الأمر إلى الإمبراطور أمر بقتل سبعة آلاف شخص من أهل المدينة. سمع أمبروسيوس بالأمر فبعث إلى الإمبراطور رسالة يدعو فيها إلى التوبة من أفعاله ويعلمه أنه لن يقبل تقديم الذبيحة الإلهية في حضرته. تحدى الإمبراطور أمبروسيوس وأتى إلى الكنيسة، فما كان من أمبروسيوس إلا أن وقف عند باب الكنيسة ومنعه من الدخول، موجهاً إياه على فعلته.

رضخ ثيودوسيوس وعاد إلى قصره وأقفل على نفسه مدة ثمانية أشهر قضاها في البكاء على خطاياها، وكان يقول لمستشاريه: «لا أحد يعرف ما في نفسي من قلق واضطراب. فأنا أبكي وأنوح على شقاوتي. كنيسة المسيح مشرعة للشحاذين والعيبد، فيما أبواب الكنيسة، وبالتالي أبواب السماء، موصدة دوني». بعد هذه المرة عاد إلى الكنيسة واتخذ مكانه بين التائبين ثم سُمح له أن يقف بين الشعب، لا في مكان خاص، ويتناول الأسرار المقدسة.

منح الله أمبروسيوس نعمة طرد الأرواح الشريرة وشفاء المرضى، حتى أنه أقام ميتاً في فلورنسا واهتدى بواسطته عدد كبير من البرابرة. وبقي يخدم رعيته بكل تفران وورع إلى أن رقد بالرب بسلام في الرابع من نيسان من العام ٣٩٧، في ليلة سبت النور، فاستحق أن يقوم مع المسيح ويكون من أبناء الملكوت، جالساً مع خراف اليمين. فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.